مقدمة موجزة في دراسة العصر العباسي سياسياً

الثورة العباسية

تعد هذه الثورة نهاية الثورات الكثيرة التي نشبت ضد بني أمية، وهي ثورات أراد بها أصحابها إلى الاصلاح الاجتماعي، ومنهم من كان يتخذ إلى ذلك طريق الرفق على نحو ماهو معروف عن جماعة الفقهاء، وأكثرهم كان يتخذ طريق العنف ويريد أن يمحو سلطان الأمويين محواً على نحو ما كان يريد ابن الزبير والخوارج والشيعة والابن الاشعث ويزيد بن المهلب ... وقد شهر هؤلاء السلاح في وجوههم مراراً . غير أن الامويين كانوا دائماً يكبحون جماح الثائرين ويقضون على كل الثائرين على نظمهم السياسية والاجتماعية.

انتهت ثورات ابن الزبير وأنصاره بمجرد الفتك بهم ، أما ثورة الخوارج ومثلها ثورة الشيعة فظلت تشتعل من حين إلى حين في العراق وكانوا كلما يقتلون تهبّ ثورة ثانية. ومن أسباب هذه الثورات كانت قد استقرت في نفوسهم أن الامويين نهبوا السلطان من الأمة وينبغي أن يعود إليها بما يتحقق به المساواة بين أفرادها ويعمّ العدل الذي لاتستقيم الحياة بدونه.

وكانت تنضمّ إلى هذه الثورات فئات من الموالي الذين اضطهدهم بنو أمية وحرموهم من المساواة بالعرب في الحقوق، مخالفين نظرية الاسلام وما يدعو إليه من التسوية المطلقة بين العرب وغير العرب من الضرائب وغيرها من الأمور فكان طبيعياً أن تكثر مطالبتهم بالعدل الاجتماعي وأن يطمحوا إلى حكام جدُد يُقرّون فيهم مبادئ الاسلام الذي يوجب المساواة بين أفراد الأمة في جميع الواجبات المالية وغيرها ، وينكر الظلم واستغلال الانسان .

لذلك فقد وضعت كثرتهم آمالها في أبناء عليٍّ وأسرته الهاشمية، لما تميز به حكمه من مساواة تامة بين العرب والموالي بحيث أصبحوا شيعتهم وينضوون تحت ألوية أبناء عليٍّ دونَ من سواهم من الهاشميين، وقد عرف ذلك فيهم أبناء عمومتهم العباسيون، وبسبب عدم نجاح ثورات أبناء علي، فقد حاولوا النفوذ إلى مبتغاهم عن طريق فرقة الكيسانية الشيعية التي تكونت حول (ابن الحنفية). وكان (محمد) حفيده هو الذي تقلَّد الإمامة من بعد أبيه (أبو هاشم) فعمد محمدٌ فوراً إلى تنظيم الدعوة العباسية سرّاً من مقره في الحميمة متخذاً من الكوفة دار التشيع ومستقره مهداً لها ومركزاً. ثم يتوفى الامام محمد ويعهد بالإمامة ابنه ابراهيم.

في تلك الفترة كان الوليد بن يزيد بن عبدالملك قد وُلّيَ خلافة الدولة الأموية وكان مدمناً للخمر ومنادمً للفساق والمغاني، كأنّ ذلك كان إشارة

الوقتِ لما حصلَ في الخلافة الاموية من ضعف وفسادٍ في الحكم وكذلك في النظم الاجتماعية، ومالبثوا أن قتلوا الوليد وتطاحنوا على عرش الخلافة تطاحناً مرّاً .

في هذه الأثناء يتولى أبو مسلم الخراساني قيادة الدعوة في موطنه معلناً الثورة على الامويين، ويدخل جيوش العباسيين الى الكوفة حينئذٍ تبرز الى النور حكومة بني العباس السرية وعلى رأسها أبو سلمة الخلال الذي يتولى قيادة الجيش بعد مقتل قياداته، وفي تلك الفترة يتم القضاء على ابراهيم بن محمد الإمام بعدما كُشِف أمره وأنه هو الذي يدبّر هذه الثورة، ويتولّى أخوه أبو العباس السفاح الأمر من بعده فيصِل إلى الكوفة، وكان أبو سلمة الخلاّل الذي لقبوه بـ " وزير آل محمد" يرى أن يختار للخلافة أحد أحفاد علي بن أبي طالب. غير أن أبي العباس السفاح استطاع الاتصال بأبي مسلم الخراساني وأرسل مجموعة من زعماء الدعوة بخراسان سلَّموا عليه بالخلافة واضطُرَّ أبو سلمة الخلال إضطراراً أن يعلن تأييده له، واتجه أبو العباس السفاح إلى المسجد الجامع في الكوفة فبايعه الناس وارتقى المنبر محتجّاً بآي القرآن الكريم على أن بيته العباسي أحق بالخلافة من بيت العلويين مؤكداً فضل الخراسانيين في تحرير الأمة من ظلم الأمويين. وأغرى أبا مسلم الخراساني بأبي سلمة فدسَّ إليه من قتله.

وتذكر كتب التاريخ والأدب أن العباسيين مضوا يفتكون بأفراد البيت الأموي فتكاً شديداً واستأصلوهم من الأرضِ استئصالاً، وقد انبرى بعض الشعراء يحرضون الناس على الفتك بالامويين ثأراً للإمام ابراهيم بن محمد ومن قتلوا من العلويين والهاشميين، وحتى موتاهم لم يسلَموا من العقاب الصارم إذ يقال إنه نبشت قبورهم ماعدا قبري معاوية وعمر بن عبدالعزيز الخليفة الورع وحرِّقت بقايا جثثهم بالنار. وكان هذا البطش دافعاً لعبد الرحمن الداخل حفيد هاشم بن عبدالملك إلى أن يلوذ بالفرار إلى الأندلس حيث أسس بها دولة أموية جديدة ظلت نحو ثلاثمائة عام.

وعلى هذا النحو ظفرت الثورة العباسية بالبيت الاموي الذي كانت نفوس الرعية تمتلئ سخطاً عليه بسبب معاناتهم من الظلم وعدم الانصاف والعدل الاجتماعي. ورأى العباسيون أن يتخذوا من العراق موئلاً لخلافتهم وأصبح السام ولايةً تابعة لها. ولما توفى السفاح تولّى أبو جعفر المنصور الخلافة . ويعدُّ أبو جعفر المنصور المؤسس الحقيقي للدولة العباسية فهو الذي أصّلها وضبط المملكة ورتَّبَ القواعد وأقام الناموس.